منهج ابن خلدون في دراسة الظواهر الاجتماعية

Ibn Khaldun's approach to studying social phenomena

حفيظة خليفي [1]

[1] جامعة عمر ثليجي-الأغواط، الجزائر haf.khelifi@lagh-univ.dz

تاريخ الاستلام: 2021/07/15 تاريخ القبول: 2021/10/24 تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص

ابن خلدون هو ذلك المفكر العربي المسلم الذي توصل إلى علم جديد سماه العمران البشري وهو علم الاجتماع، انتهى ابن خلدون إلى وضع نظريات واكتشاف الكثير من الحقائق عن الظواهر الاجتماعية، لذا يهدف هذا المقال للتعريف بالمنهج العلمي لابن خلدون في دراسة الظواهر الاجتماعية.

تميز ابن خلدون عن العلماء العرب والمسلمين اللذين سبقوه، فوضع تصور للعلم أكثر واقعية وطور في مبادئ العلم، مقدمة وأفكار ابن خلدون لا تزال تبهر العلماء الغربيين والباحثين المحدثين، وهو ما يؤكد موضوعية وعلمية منهج ابن خلدون المبنية على التحليل والاستقراء والتحقيق العلمي والمقارنة والنظر للأحداث في إطارها الزمني والأخذ بالعلة أو السبب.

كلمات مفتاحية: منهج علمي؛ بحث علمي؛ عمران بشري؛ قواعد منهج علمي؛ منهج ابن خلدون

Abstract

Ibn Khaldun is that Arab Muslim thinker who came up with a new science he called human urbanism, which is sociology. Ibn Khaldun ended up setting up theories and discovering many facts about social phenomena, so this article aims to introduce Ibn Khaldun's scientific method in studying social phenomena.

Ibn Khaldun distinguished himself from the Arab and Muslim scholars who preceded him, so he developed a more realistic conception of science and developed the principles of science. Scientific investigation, comparison and consideration of events in their time frame and taking into account the cause or cause.

Keywords: scientific method; Scientific Research; human urbanization; the rules of the scientific method; Ibn Khaldun's approach

المؤلف المرسل: خليفي حفيظة، **haf.khelifi@lagh-univ.dz**

1. مقدمة

يعد "ابن خلدون" المؤسس الأول لعلم الاجتماع، الذي سماه العمران البشري أو الاجتماع الإنساني، وهذا في أوائل الربع الأخير من القرن الرابع عشر، اعتمد المنهج الواقعي في تحليل الظواهر والعمليات الاجتماعية كالعصبية، التغير الاجتماعي وغيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى، أضاف بذلك لميدان العلم والمعرفة تحليلا موضوعيا للعمران البشري مبنيا على دور الأسباب الاجتماعية والاقتصادية في التغير الاجتماعي والتاريخي. أكد ابن خلدون أن البحث في العمران البشري أو علم الاجتماع مبني على قواعد منهجية، أهمها عدم تأثر الباحث بالأفكار المسبقة، إخضاع المادة أو المعطيات للتدقيق التمحيص أو التشخيص، الأخذ بمنهج المقارنة، السعي للوصول إلى صياغة القوانين التي تحكم المجتمع، أخذ في عين الاعتبار أن التغير الاجتماعي حقيقة من حقائق الوجود الاجتماعي. إبداع ابن خلدون هذا كان خارج الأطر المعرفية أو الإبستيمية التي وضعها الآخرون مما سبقوه من العلماء العرب والمسلمين أمثال الطبري والمسعودي وغيرهم، كونه اتجه نحو التفكير المرتبط بالواقع واستشعر جوانب النقص في المعرفة العلمية من حيث صدقها وانطباقها على الواقع، التي اهتمت حسبه بمنطق الشكل دون منطق المادة. وبهذا عدل عما رآه ابتعاد عن مقاصد المعرفة العلمية التي تجعل من الحقيقة هدفا لها.

قدم "ابن خلدون" كتاب العبر بمقدمة علمية ضخمة، هي الجزء الأول من ذلك الكتاب الذي احتوى على سبعة أجزاء، (الشامي، 2011، ص 11)

له موضوع، ومسائل، ومنهج، وأسلوب، وإضافات فكرية وعلمية أسهمت في ظهور علم الاجتماع واستقلاليته عن العلوم الأخرى، وتكامل موضوعاته وقابليته في تحليل الظواهر والعمليات الاجتماعية في علاقة علم الاجتماع بالتاريخ وفلسفة التاريخ وتفسير حقيقة الاجتماع البشري، ونظم ومؤسسات المجتمع وتقسيم المجتمعات البشرية، والتغير الاجتماعي، ومنهجية علم الاجتماع. (الساعاتي، 1978، ص 22)

"ابن خلدون" وضع تصور للعلم أكثر واقعية وموضوعية وطور في مبادئ ومنطلقات العلم، بحيث تتلاءم مع ما كان يصبو إليه من إضافة المعرفة بالإنسان إلى حقل العلوم الأخرى. إنها معرفة إنسانية لا تختص بمجتمع بعينه. وعليه يتم طرح التساؤلات التالية: ما هي القواعد المنهجية التي اعتمدها ابن خلدون في الكشف عن الحقائق والظواهر الاجتماعية؟ ما الفرق بين منهج ابن خلدون ومنهج العلماء المسلمون ممن سبقوه أو تتلمذوا على يده؟ ما هي خصائص المنهج العلمي الخلدوني في دراسته للظواهر الاجتماعية؟ وبهذا يهدف هذا المقال للتعريف بالقواعد المنهجية التي اعتمدها ابن خلدون في البحث العلمي والكشف عن الظواهر الاجتماعية، تحديدا لخصائص المنهج العلمي الخلدوني في الكشف عن الظواهر والعمليات الاجتماعية، مشيرا إلى الفرق بين منهج "ابن خلدون" ومنهج العلماء العرب المسلمون ممن سبقوه في دراسة

الظواهر الاجتماعية. وهذا باستخدام المنهج التحليلي، وهو منهج يتبعه الباحث لإزاحة الغموض عن الظواهر أو الإشكالات المطروحة، من خلال التعمق في التفسير والاستناد لأسس علمية.

2. الإطار المفاهيمي لمفهوم المنهج العلمي والبحث العلمي

1.2 مفهوم المنهج:

هو "مجموعة منظمة من العمليات تسعى لبلوغ هدف (...) كلمة منهج يمكن إرجاعها إلى طريقة تصور وتنظيم البحث، ينص إذا المنهج على كيفية تصور وتخطيط العمل حول موضوع دراسة ما. غير أنه يتدخل بطريقة أكثر إلحاح أكثر أو أقل دقة، في كل مراحل البحث أو في هذه المرحلة أو تلك." (موريس أنجرس، 2004، ص 72)

المنهج هو الطريق الواضح والسلوك البين، والسبيل المستقيم الذي يؤدي إلى بلوغ مرام البحث والباحث بأقل التكاليف والجهود، وذلك لاكتشاف الحقائق العلمية. ولذلك تحدد الأهداف بلوغها مسبقا، ولا بد في تحقيق هذه الأهداف من دراسة الأسس العلمية وطرقها المؤدية إلى هذا التحقيق. (داودي، 2011، ص 46-47)

المنهج هو عبارة عن جوانب لسؤال كيف نصل إلى الأهداف.

2.2 مفهوم المنهج العلمي:

يعرفه "عبد الرحمن بدوي" أنه "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحديد عملياته حتى يصل إلى نتيجة ومعلومة. (بدوي، 1977، ص 5)

المنهج العلمي هو أيضا "مجموعة القواعد التي يتم وضعها بقصد الوصول إلى الحقيقة في العلم، أو هو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة من أجل اكتشاف الحقيقة." (شروخ، 2003، ص 5)

المنهج العلمي هو نظام مبني على العمليات والإجراءات المعرفية الهادفة إلى استقصاء موضوع البحث واكتشاف حقائقه.

3.2 مفهوم البحث العلمي:

البحث العلمي هو طريقة أو محاولة منظمة يمكن أن توجه لحل مشكلات الإنسان في مجالات متعددة، وهو مجموعة الجهود المنظمة التي يقوم بها الإنسان مستخدما الأسلوب العلمي وقواعد الطريقة العلمية، وهو مجموعة من النشاطات التي تحاول إضافة معارف أساسية جديدة على حقل أو أكثر من حقول المعرفة من خلال اكتشاف حقائق جديدة ذات أهمية باستخدام عمليات وأساليب منهجية وموضوعية. (هشام، 2007، ص 25)

يعرفه "موريس أنجرس" بأنه "نشاط علمي يتمثل في جمع المعطيات وتحليلها بهدف الإجابة عن مشكلة بحث معينة." (موريس أنجرس، 2004، ص 70)

البحث العلمي هو جهد علمي يهدف إلى اكتشاف الحقائق الجديدة والتأكد من صحتها وتحليل العلاقات بين الحقائق المختلفة.

3. الخلفية الاجتماعية والثقافية لابن خلدون

1.3 نبذة عن حياة ونشأة ابن خلدون:

اسمه بالكامل "أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون"، ولد في مدينة تونس عام 1332م، وتوفي بمصر عام 1406م، ينتسب إلى أسرة عربية يمنية بحضرموت، تولى كثيرا من الأعمال السياسية، واتصل بسلاطين المغرب وإسبانيا، رفعته السياسة حتى وصل وزيرا، وخفضته حينا حتى سجن، فسئم العمل السياسي واعتزله سبع سنوات من 776هـ/1282م، قضى أربع سنوات منها في قلعة ابن سلامة، وحينها كتب مقدمته المشهورة، ثم رحل إلى القاهرة وتولى القضاء فيها، وظل بها إلى أن مات. (الشامي، 2011، ص 11 –12)

نشأ نشأة علمية بحتة، وقد حرص هو ذاته في التعريف على أن يصف هذه النشأة وصفا وافيا، فذكر أسماء كل من ساهموا في تعليمه وأثبت فضلهم، وبين مكانة كل واحد منهم، حيث كان والده أول من قام بتعليمه، وقد بدأ بتعلم اللغة العربية، وحفظ القرآن الكريم. (الجوهري و محسن، 2008، ص 12)

قرأ الحديث وأخذ الفقه والعلوم الحكيمة والعقلية وحضر مجالس العلم على يد نخبة من كبار الأساتذة الذين رافقوا السلطان المغربي أبا الحسن المريني في عزوته لتونس سنة 748هـ. (الساعاتي، 2004، ص 32)

اشتهر "ابن خلدون" بمقدمته التي هي جزء من كتابه الذي ألفه في التاريخ و"سماه كتاب العبر وديوان المبدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. (الشامي، 2011، ص 13)

ينقسم هذا المؤلف إلى المقدمة وتطرق فيها إلى فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه وأسباب أخطاء المؤرخين، مرجعا أسباب أخطائهم إلى أنهم لم يحاولوا دراسة المجتمعات وما يسودها من قوانين لذلك وضع لهم أسس دراسة المجتمعات، وكتاب ثاني في "أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ بدء الخليقة حتى القرن الثاني الهجري"، وكتاب ثالث في "أخبار البربر ومن إليهم وأجيالهم ودولهم".

جاء "ابن خلدون" في فترة متأخرة من الحضارة الإسلامية، حيث كانت العلوم ماعدا العلوم الشرعية في الحضارة الإسلامية هي العلوم التي وضعها اليونان وأخذها عنهم المسلمون، مع الاعتراف بحدوث

تغييرات أملتها ظروف تاريخية. حيث "اشتغل ابن خلدون بالمعرفة العربية الإسلامية وهي في حالة امتلاء وانسداد واقعيين، وهذه الحالة أصبحت في عهده قابلة للملاحظة، وتمس الميادين المعرفية برمتها النقلية والعقلية. (ابن خلدون، 1993، ص 38)

أين تمكن "ابن خلدون" من التعرض للعلم السابق عليه بالنقد والتمحيص وتقديم البديل، من خلال قيام قطيعة أبستمولوجيا مع ما كان موجود، بانتقال العلم من البحث عن ماهيات الأشياء إلى البحث عن الخصائص الموضوعية لها، عن طريق الاستقراء. إن إسهامات "ابن خلدون" الأبستمولوجيا كانت في سياق دراسة التاريخ والعمران البشري. التي أثمرت صياغة خلدونية في العلم، من خلال أهم عامل وهو نقده لمكانة العقل في الفلسفة اليونانية وعند من تابعهم من المفكرين العرب والمسلمين، ومعرفة الظاهرة الاجتماعية أو الإنسانية معرفة علمية.

2.3 موضوع علم العمران البشري:

أنشأ "ابن خلدون" علما سماه "العمران البشري" ويعني به علم يبحث ويوضح أحوال العمران والتمدن، وما تخضع له ظواهر الاجتماع الإنساني من قوانين ثابتة، وفي هذا يقول: "...وشرحت فيه من أحوال العمران والتمدن، وما يعرض في الاجتماع الإنساني من العوارض الذاتية، وما يمتعك بعمل الكوائن وأسبابها..، إن هذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني، الأمم لكل وجودهم وما أراده الله من اعتماد العالم بهم واستخلافهم إياهم، وهذا معنى العمران الذي جعلناه موضوعا لهذا العلم". (محمود، 1998، ص 107)

يقسم ابن خلدون العمران البشري إلى قسمين: العمران البدوي وهو الذي يكون في الضواحي وفي الجبال وفي الحلل المنتجفة في القفار وأطراف الرمال. والعمران الحضري: وهو الذي بالأمصار والقرى والمداشر. (الشامي، 2011، ص 11)

يعرفه آخرون عن "ابن خلدون"، بأنه العلم الذي يدرس أسباب قيام العمران البشري (المجتمع)، وواقعات العمران البشري، وطبيعة العمران (تأنس، توحش وعصبية...)، وكيفية قيام الملك والدولة، والتغيرات التي تطرأ على العمران البشري، دراسة علمية تحليلية. (المنشاوي، 2014، ص 38)

أما موضوعات علم العمران البشري فحددها "ابن خلدون" بقوله: "وكأن هذا علم مستقل بنفسه، فإنه ذو موضوع، وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني، وذو مسائل وهي بيان ما لحقه من العوارض والأحوال لذاته، واحدة بعد الأخرى. وهذا شأن كل علم من العلوم، وضعيا كان أو عقليا." (الشامي، 2011، ص 10-44)

موضوعات هذا العلم هي ما أطلق عليها "ابن خلدون" "بواقعات العمران البشري"، أو "أحوال الاجتماع الإنساني"، أو ما يسمى اليوم بالظواهر الاجتماعية. "يتميز "ابن خلدون" بأنه أدرك مسألة الضرورة الاجتماعية والصراع والتغير كأبعاد أساسية في حياة المجتمع والإنسان". (أمين، 2014، ص 45-48)

3.3 العوامل التي أدت لنشأة علم العمران البشري:

– اهتمام "ابن خلدون" بدراسة التاريخ إلى جانب دراسته للفقه والفلسفة.

– اشتغال "ابن خلدون" بشؤون السياسة والحكم واقترابه من العديد من الحكام والسلاطين.

– استعراض "ابن خلدون" لكتب المؤرخين من قبله واكتشافه ما فيها من مغالطات وزيف ومخالفة لطبائع الأمور.

– اعتمد "ابن خلدون" في أبحاثه على إمكانية قيام علم مستقل يكتشف المبادئ العامة التي يقوم عليها الاجتماع الإنساني هو علم العمران البشري.

دفعت هذه العوامل بابن خلدون إلى تحديده بدقة موضوع علم العمران في دراسة الاجتماع الإنساني وظواهره وتحولاته، وحدد هدفه في الكشف عن طبيعة العلاقات المتبادلة بين أجزاء المجتمع وما يترتب عليها من تأثيرات. هذا العلم له منهج وأسلوب علمي في البحث يعتمد على النظر في الحقائق وتمحيصها. "واعتبر التعليم للعلم من جملة الصنائع، لأن الحذق في العلم والتفن به والاستيلاء عليه إنما هو ملكة، وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق، وتكون هذه الملكة هي في غير الفهم والوعي." (شمس الدين، 1991، ص 31–32)

4. المفاهيم عند ابن خلدون

في دراسته للاجتماع الإنساني أبدع "ابن خلدون" نظرياته من خلال مفاهيم عديدة وهي: "مفهوم العصبية وهو محور نظرية "ابن خلدون" في قيام الدول وسقوطها." (محمود، 1998، ص 50)

أين يقصد بالعصبية أو العصبة مجموعة الأفراد الذين تجمعهم رابطة الدم والنسب، أو الحلف والولاء، حيث يتعصبون لبعضهم البعض حين يكون هناك داع للتعصب وظهور لديهم شعور جماعي مشترك وهو ما أسماه ابن خلدون بالعصبة. الذي يشير من خلاله لمفهوم آخر وهو شبكة العلاقات القرابية، ذلك أن درجة قوة أو ضعف العصبية متوقف على درجة قرب النسب أو بعده. حيث يرى ابن خلدون أن العصبية الصغيرة أكثر تماسكا من العصبية الأكبر، ويرى أن العلاقات القرابية في المجتمع البدوي تتميز بخاصية الالتحام أو الانقسام نتيجة عوامل إيديولوجية واقتصادية وسياسية واجتماعية. ويرى أيضا أن هذه الخاصية هي أساس تحقيق القوة السياسية التي تتشكل عن طريق التحام العصبيات أو العلاقات الاجتماعية، فالعصبية عنده إنما تكون من الالتحام بالنسب أو ما معناه، فيقول "وانظر خلاف الناس في نسب آل المنذر وغيرهم يتبين لك شيء من ذلك، ومنه شأن بجيلية في عرفجة ابن هرثمة لما ولاه عمر عليهم فسألوه الإعفاء منه، وقالوا هو فينا لزيق." (محمود، 1998، ص 97)

قسم "ابن خلدون" النسب إلى قسمين نسب صريح واضح وظاهر، يعرف بالنسب الأبوي، الذي يشير إلى السلف الذي ينتمي إليه الأبناء، ونسب الولاء بمعنى الانتماء إلى النسب الصريح عن طريق الولاء أو الحلف. "وبعد أن تعرض "ابن خلدون" لمفهوم العصبية وأسباب وجودها أو فقدانها، انتقل إلى موضوع حساس وهام، مبينا دور العصبية فيه، ألا وهو موضوع الرئاسة، وهو يقصد بذلك حق التوجيه القيادي لمفهوم الملك والدولة." (غريب، 1986، ص 153)

يقول في هذا الشأن: "ولما كانت الرئاسة إنما تكون بالغلب، وجب أن تكون عصبة ذلك النصاب أقوى من سائر العصبيات ليقع الغلب بها وتتم الرئاسة لأهلها... فهذا هو سر اشتراط الغلب في العصبية، ومنه تعين استمرار الرئاسة في النصاب المخصوص." (طه، 2012، ص 9)

كما تحدث عن الأعمار الطبيعية قاصدا بذلك فكرة الدورات التاريخية، (غريب، 1986، ص 153)

فحدد عمر الدولة أو وراثة الرئاسة ضمن العصبية القوية بأربعة أجيال، أي بحوالي 120 سنة. تعرض "ابن خلدون" أيضا للعديد من المفاهيم ضمن العمليات الاجتماعية، كالتعاون والصراع والتغير والحراك. فيرى فيما يتعلق بالتعاون والتكامل الاجتماعي أن "ضرورة الحياة الاجتماعية تنعكس في حاجة الأفراد إلى التعاون لسد الحاجات الاقتصادية والدفاعية، فالفرد لا يستطيع توفير ذلك." (الشامي، 2011، ص 161)

كما أشار لمفهوم التغير في مواضع متعددة، تبدل الأحوال، أحوال متقلبة... حيث يرى أن المجتمع يتغير ويتبدل من حال إلى حال ومن نمط لآخر. وأشار أيضا لمفهوم التطور عندما استخلص أن المدينة هي الهدف النهائي للاستقرار البشري. حيث يرى أن البدو أصل العمران أو المجتمعات وهم أقدم من الحضر، وتعرض للقدوة أو التقليد حيث كان في ذلك له السبق عن "قابراييل تارد" (Gabriel Tarde)، حيث يقول "ابن خلدون" "أن المغلوب مولع بالغالب أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده." (ابن خلدون، 1993، ص 147)

عن مفهوم النظم الاجتماعية يقول "ابن خلدون" "وما يعرض في العمران من دولة وملة، ومدينة وحله، وعزه ودولة، وكثرة وقلة، وعلم وصناعة وكسب." (ابن خلدون، 1993، ص 4)

حيث يرى ابن خلدون أن للعمران طبائع في أحواله بمعنى أن للمجتمع خصائص يجسدها الواقع الاجتماعي من خلال النظم الاجتماعية المختلفة، كالنظام السياسي وهو كيان يعمل على تنظيم شؤون الدولة، أين يرى أن السلطان له مهام أهمها تطبيق الضبط الاجتماعي والرقابة الاجتماعية كون تطبيقها يحتاج لقوة يستند إليها، وفي هذا يقول: "فلا بد من وازع يدفع البشر بعضهم عن بعض، فيكون الوازع واحد

منهم يكون له الغلبة والسلطان واليد القاهرة، حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان." (محمود، 1998، ص 7)

من جهة أخرى نجد "ابن خلدون" كان له السبق فيما يتعلق بإبراز أثر البيئة في الظواهر الاجتماعية، وهناك من علماء الغرب الإيكولوجين منهم الإيطاليون الذين أشاروا إلى فضله في هذا. ومن الجوانب التي تناولها في هذا الإطار "أثر العامل الجغرافي على المظهر العمراني، ففسر كثرة العمران وازدياد السكان بالظروف المناخية، وتأثير المعتدل من الأقاليم والمنحرف منها في ألوان البشر، ويقرر أن الأقاليم المعتدلة يكون سكانها أعدل أجساما وأخلاقا وأديانا." (غريب، 1986، ص 161)

يرى أيضا أن ذكاء الحضريون وتفوقهم عن أهل البداوة راجع إلى أسلوب الحياة والمعيشة. وبهذا يشير إلى أثر البيئة من جهة، وإلى مفهوم التنشئة الاجتماعية، كونها مكتسبة وتتأثر بالبيئة المحيطة بالإنسان من جهة أخرى.

5. المنهج العلمي عند ابن خلدون والعلماء العرب المسلمين

1.5 قواعد المنهج العلمي عند العرب المسلمين:

هناك نماذج من كبار العلماء ممن ساهموا في مجال الدراسات التاريخية، أمثال "الطبري" و"المسعودي" وهم ممن سبقوا "ابن خلدون"، ومن تتلمذوا على يده نجد "المقريزي". "ف"محمد بن جرير الطبري" ألف كتابه "تاريخ الأمم والملوك" والذي كتب فيه "وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه، مما شرطت أني راسمه فيه، إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي مسندها إلى روائها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول واستنبط بفكر النفوس إلا اليسير القليل منه، إذا كان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أبناء الحادثين غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم، إلا بأخبار المخبرين، ونقل الناقلين دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس، فما يكون من خبر في كتابي هذا يستنكره قارئه، أو يستشعره سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها من الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فيعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من بعض ناقليه إلينا، وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا." (الطبري، 1918، ص 5)

من جهته "علي بن الحسين بن علي المسعودي" الذي ألف كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ"، كتب في كتابه هذا حول المنهج الذي أتبعه "ولم نذكر من كتب التواريخ والأخبار والسير والآثار إلا ما اشتر مضيفوها وعرف مؤلفوها." (ابن خلدون، 1993، ص 108)

من جهة أخرى فإن تلميذ "ابن خلدون" "أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم المقريزي"، مؤلف كتاب "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" يقول فيه شارحا منهجه "قصدت في هذا الكتاب،

فإني سلكت فيه ثلاثة أنحاء وهي النقل من الكتب المصنفة في العلوم، الرواية عمن أدركت من شيخة العلم وجلة الناس، المشاهدة لما عاينته ورأيته." (داودي، 2011، ص 50)

ما يبين أن "المقريزي" بالرغم من تتلمذه على يد "ان خلدون" لم تكن له القدرة الكافية للتحليل والاستقراء والاستنتاج، ويبين من جهة أخرى الفرق بين منهج "ابن خلدون" ومنهج العلماء العرب المسلمين الذين سبقوه، حيث تشير جوانب النقص في منهجهم إلى "عدم ملاحظة أسباب الوقائع والأحوال، عدم رفض نزهات الأحاديث، قلة التحقيق والتنقيح، وجود الأخطاء والوهم، والاعتماد على التقليد والمحاكاة، التطفل على العلوم بشكل واسع، الجهل المنتشر بين الناس انتشارا كبيرا، اختفاء البصيرة في النقل وتمحيص الصحيح من الخطأ، عدم استعمال البصيرة في النقل وتمحيص الصحيح من الخطأ." (داودي، 2011، ص 51)

هكذا يتفوق منهج "ابن خلدون" عن سابقيه وتلامذته باتباعه طريق تمحيص الأخبار، والبحث عن الأسباب والمسببات والآثار والنتائج لوقوعها. ويقول ذاته عن مناهج العلماء الذين سبقوه "ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها، ولا رفضوا نزهات الأحاديث ولا دفعوها، فالتحقيق قليل، وطرف التنقيح في الغالب كليل، والغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل، والتقليد عريق في الآدميين وسليل، والتطفل على الفنون عريض طويل، ومرعى الجهل بين الأنام وحيم بيل، والحق لا يقاوم سلطانه، والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه، والناقل إنما هو يملي وينقل، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمقل والعلم تجلو لها صفحات القلوب ويصقل." (ابن خلدون، 1993، ص 4)

2.5 شروط المنهج العلمي عند ابن خلدون:

من شروط المنهج العلمي أن يكون ملائما للظروف المختلفة، وأن يكون مستمدا من حاجات المجتمع وثقافته، وأن تربط موضوعاته بشؤون الحياة الحاضرة وأن تكون مواده وخبراته متماسكة. والدارس لمقدمة "ابن خلدون" يجد هذه الشروط متجسدة في المنهج الذي سلكه في تأليف معرفته العلمية وعلمه الموسوم بالعمران البشري. (ابن خلدون، 1993، ص 47)

3.5 الفرق بين منهج ابن خلدون ومنهج العلماء العرب المسلمون:

بعد أن ضبط "ابن خلدون" حدود المجال الذي يمكن للعقل أن يبحث فيه عن معرفة علمية، نجده يشير إلى الطريقة التي على العقل أن يتبعها في سبيل امتلاك معرفة صحيحة منطقيا وواقعيا، أي أنه تكلم في منهج معين عبره فقط يستطيع الإنسان أن يكتشف العلوم بالحقائق. يصرح "ابن خلدون" أن المنهج العلمي هو استقرائي يتبع خصائص الموضوع الذاتية من خلال الملاحظة المباشرة، والخطاب العلمي عنده يكتفي بالتعبير عن "المعاني العينية التي ما تزال الصورة الحسية عالقة بها." (يعقوبي، 2009، ص 75)

إن المنهج الذي كان سائدا قبل "ابن خلدون" هو المنطق الأرسطي الساعي إلى الوصول إلى ماهيات الأشياء، باعتبارها "تمثل جملة الخصائص الثابتة في الشيء والتي يتم تصوره. (يعقوبي، معجم الفلسفة، 1979، ص 213)

بعد الفحص المعمق انتهى بابن خلدون إلى رفض هذا النوع من المعرفة واعتبارها معرفة علمية، بالرغم من أن المنطق الأرسطي كانت له آنذاك مكانة مرموقة في الأوساط المعرفية الإسلامية، ومن انتقدهم هم المتأخرون من فلاسفة الإسلام، وقد أخذ على هؤلاء أنهم يوجهون كل عناياتهم إلى منطق الصورة أو الشكل، إذ يدرسون القضايا من شكلها فقط ويغفلون منطق المادة. "حيث أغفلوا النظر في الكتب الخمسة المتعلقة بمنطق المادة من كتاب أرسطو وهي: البرهان، والجدل والخطابة، والشعر والسفسطة، وربما يلم بعضهم باليسير منها إلماما، وأهملوها كأن لم تكن، وهي المعتمد في هذا الفن." (خلدون، 2007، ص 518)

لكن بالرغم من الانتقادات التي وجهها "ابن خلدون" لمنهج المناطقة لم يلغي الخطوات الأربعة التي تعارف عليها المناطقة واشترطوها لكل علم، وهي الموضوع والأعراض الذاتية والمسائل والمقدمات، وإنما ترك الخطوة الأخيرة والمتعلقة بالبرهان لأنها لا تعني علمه، علم العمران، حيث يقول: "وكأن هذا علم مستقل بنفسه، فهو ذو موضوع، وهو العمران البشري والاجتماع الانساني، وهو ذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض لذاته واحدة بعد أخرى، وهذا شأن كل علم وضعيا كان أو عقليا". (خلدون، 2007، ص 53)

بدلا من البرهان اعتمد "ابن خلدون" على الاستقراء كمنهج، وظيفة الفكر فيه أن "يتوجه إلى واحد من الحقائق وينظر ما يعرض له لذاته واحد بعد آخر ويتمرن على ذلك، حتى يصير إلحاق العوارض بتلك الحقائق ملكة له، فيكون حينئذ علمه بما يعرض لتلك الحقيقة علما مخصوصا." (خلدون، 2007، ص 437) وبيان العوارض يكون إلا بتتبعها واحدا واحدا كما قال وهذا شأن الاستقراء.

6. القواعد المنهجية التي اعتمدها ابن خلدون لكشف الحقائق

1.6 الشك والتدقيق والتمحيص:

اتبع "ابن خلدون" في مقدمته مفاهيم منهجية دقيقة مغايرة لمناهج سابقيه، يجعل الدراسة أو البحث ذا قيمة عالية لا جدال فيها، فهو يرى أن على الباحث ألا يقبل شيئا على أنه حق إلا أن يتأكد بوضوح. (موسى، 1997ن ص 70)

اعتمد "ابن خلدون" في بحثه الشك العقلي الذي ورثه من دراسته الدينية لكبار أئمة الفقه الإسلامي مثل "أبو حامد الغزالي" "الذي شكك في قدرة العقل على الإدراك الحق، "وابن تيمية" الذي شكك في صحة

الكليات العقلية العامة التي كان المناطقة قبله يجعلونها مقدمات لأقسيتهم المنطقية، وما ورثه من دراسة لعلم الحديث، كل هذا جعل من "ابن خلدون" باحثا ناقدا ومحققا. فاعتمد الشك العقلي الذي لا يزال أحد أهم قواعد المنهج في العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث يقول "إن الإنسان ينبغي أن يهيمن على نفسه فيميز بين طبيعة الممكن والممتنع بصريح عقله، فما دخل في نطاق الإمكان قبله وما خرج عنه رفضه" (السمرائي، 1986، ص.ص 285-286).

2.6 الملاحظة المباشرة أو التشخيص المادي:

التشخيص المادي يعني ملاحظة وترصد الظواهر الاجتماعية على ما هي عليه في الواقع، يقوم إبداع "ابن خلدون" في تطبيق دراسة المجتمعات منهج الترصد والمشاهدة، (غريب، 1986، ص127) والاعتماد على الملاحظة المباشرة التي تتم بطريقة علمية ونقدية. (الشامي، 2011، ص 15)

إنه أحد الأساليب التي استخدمها الأنثروبولوجيين في دراساتهم الحقلية للمجتمعات البدائية واصطلح عليه خبراء المنهجية المنهج الأنثروبولوجي. ف"ابن خلدون" في بحوثه استخدم أسلوب الملاحظة لظواهر الاجتماع في مختلف الشعوب التي أتيح له الاحتكاك بها ومعايشة أهلها، ومن ثم الموازنة بين الظواهر ماضيها وحاضرها، من خلال التأمل في مختلف عناصرها وتأثيراتها في حياة الأفراد والجماعات وربط علاقات الظواهر ببعضها.

حيث انطلق في بحثه من مرحلة أولى وهي جمع المعطيات حول موضوع الدراسة، معتمد في ذلك على الملاحظات الحسية أو العينية والتاريخية للظواهر الاجتماعية، وصولا إلى كشف القوانين التي تحكمها من خلال مرحلة تجمعهما، وهي مرحلة عقلية تبنى على التدقيق والتمحيص أو ربط العلاقات حول ما جمعه من مادة أولية عن هذه الظواهر.

إن هذه الخطوات هي نفسها خطوات المنهج العلمي الذي ينتهجه الباحثون في دراساتهم في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

3.6 أسلوب المقارنة أو منهج البحث المقارن:

أشار "ابن خلدون" إلى ضرورة مقارنة ظاهرة بالظواهر المرتبطة بها في المجتمع أو بغيره من المجتمعات. "الظواهر الاجتماعية عند ابن خلدون لا تختلف باختلاف العصور فحسب، ولكنها تختلف من مجتمع لآخر من بيئة لأخرى، اكتشف ابن خلدون قانوني التشابه والتباين، فقانون التشابه يتأتى من حقيقة تشابه مجتمعات في بنائها وتحويلها من نمط إلى آخر وفي وحدتها العقلية والتفكيرية، أما قانون التباين فيفسر اختلاف المجتمعات في ظروفها وأحوالها وعاداتها وتقاليدها، ومستويات تقدمها ونضجها الحضاري والتاريخي." (الشامي، 2011، ص15)

4.6 الأسلوب التاريخي:

يؤكد "ابن خلدون" أن هناك قوانين تاريخية تحدد مسيرة المجتمع وضرورته ومروره بمراحل متباينة، لجأ لهذا الأسلوب عندما تعقب الظاهرة وحلل أصل وجود المجتمع وتطوره عبر العصور، وحدد عمر الدولة وخصائص كل مرحلة تمر بها. إن ما يؤكد اعتماده قواعد المنهج التاريخي اتباع أساليبه وخطواته منها التحقيق وتمحيص المادة المجمعة حول موضوع الدراسة، وفي هذا وجه في مقدمته نقد للمؤرخين بقوله: "إن فحوص المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطروها في صفحات الدفاتر ... وأودوها إلينا كما سمعوها ولم يلاحظوا أسباب الوقائع ... فالتحقيق قليل وطرف التنقيح في الغالب كليل ... كثيرا ما وقع المؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشبائها ولا سيروها بمعيار الحكمة والبصيرة في الأخبار." (الجوهري و محسن، 2008، ص 50)

إن انتقاده المؤخرين تأكيد لما أعطاه من أهمية للمنهج التاريخي في دراسة الظواهر، حيث يرى أن حقيقة التاريخ خبر عن الاجتماع الإنساني أو العمران البشري. وما يعرضه من حقائق عن ظواهر عديدة ترتبط بهذا العمران من التوحش، التأنس، العصبية وغيرها، وفي هذا إشارة لارتباط العديد من الظواهر الاجتماعية في العلوم الإنسانية والاجتماعية بالتاريخ، وأن طبيعة الموضوع أو الدراسة فيها أحيانا يحتم اتباع المنهج التاريخي دون غيره، الذي يعتمد في مرحلته الثانية على تمحيص لما جمع من مادة حول الدراسة. لهذا ما نقد "ابن خلدون" للمؤرخين هدفا منه لعلمية وموضوعية المعرفة ودقتها، أين "كان له الفضل في تفريقه بين التأريخ وفلسفة التاريخ أو التاريخ التحليلي، وتساؤله الدائم عن علل الحوادث والوقائع وأسبابها، ومحاولة الوصول إلى إجابات منطقية، مستمدة من معرفة بطبائع العمران." (الجوهري و محسن، 2008، ص 51)

إن اعتماد "ابن خلدون" على المنهج التحليلي والمنهج الاستقرائي هدفه معرفة القوانين وإدراك العلل والأسباب، ومنهج "ابن خلدون" في الكتابة التاريخية يستند إلى:(الجوهري و محسن، 2008،.ص 63-64)

- **قانون العلية:** أي ربط السبب بالمسبب، حيث سعى إلى التحقق من وجود ارتباط ضروري بين الظواهر الاجتماعية، الذي لا يمكن بدونه فهم استمرار المجتمع وتطوره.
- **قانون التشابه:** حيث اكتشف "ابن خلدون" أن المجتمعات البشرية كلها تتشابه مع بعض في الوجود الاجتماعي، بسبب الوحدة العقلية للجنس البشري، ووحدة الأصل الإنساني، بالإضافة إلى التقليد الذي قد يكون تقليد الرعية للحاكم أو المغلوب للغالب أو الغالب للمغلوب.

- **قانون التباين:** حيث يرى "ابن خلدون" أن المجتمعات ليست متماثلة بصفة مطلقة، بل توجد بينها فروق يجب أن يلاحظها المؤرخ، وهي الفروق التي ترجع إلى أسباب جغرافية واقتصادية وسياسية، فمجتمع البدو غير مجتمع الحضر، ومجتمع يقوم على الزراعة وحياة الاستقرار والرخاء غير مجتمع يعاني من الفقر والجدب، فالمجتمعات تتأثر بكل هذه المؤثرات، ويرى "ابن خلدون" أن المؤرخ الذي يلم بهذه القوانين وبمؤثراتها يكتسب نوعا من حسن التقدير يستطيع معه أن يحكم على الوقائع التاريخية، ويستطيع بالأخص تمييز الحقيقة من الخطأ.

5.6 البحث عن الأسباب وربط الأسباب بالمسببات:

إن منهج "ابن خلدون" اقتضى معرفة العلل وأسباب الحقائق المختلفة. فربط الأسباب بالمسببات، وذلك لأن "طبيعة موضوع البحث هي التي تحدد منهج الدراسة"، (ديليو وآخرون، 1999، ص 26)

كون موضوع ابن خلدون العمران البشري أو الاجتماع الإنساني، حيث يقول: "إنا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والأحكام، وربط الأسباب بالمسببات، واتصال الأكوان بالأكوان واستحالة بعض الموجودات إلى بعض، لا ينقضي عجائه في ذلك ولا تنتهي غاياته." (خلدون، مقدمة ابن خلدون، 1986، ص 95)

إن منهج "ابن خلدون" من خلال البحث عن المسببات والأسباب والنتائج جعله يتميز عمن سبقه، حيث يبين أن الاكتفاء بوصف الظواهر وسرد الأخبار دون التحليل والتعليل، لا يفضي إلى الكشف عن الحقائق العلمية والقوانين التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية، حيث يقول "... في ظاهرة لا يزيد أخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأولى ... وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعد في علومها وخليق". (خلدون، مقدمة ابن خلدون، 1986، ص 4)

إن هذه العبارة الخلدونية تشير إلى علمية منهج "ابن خلدون"، وإلى قواعد أصيلة للمنهج العلمي التي تجسد العلمية والمنهجية الموضوعية. وبهذا فإن منهج "ابن خلدون" في دراسته للعمران البشري يعتمد على مراحل متتالية، فيبدأ بالنظر والتحقيق ثم ينتقل لكيفيات الوقائع والأسباب الحقيقية لوقوعها، وصولا للحكم على أن هذه المعرفة جديرة بأن تكون علما. إن تحقيق هذا المنهج العلمي الدقيق عند "ابن خلدون" يبدأ بالتساؤل عن كيفية حدوث الوقائع وسبب وقوع هذه الأحداث، إذ يستعمل في ذلك أدوات السؤال، لماذا، وماذا وكيف. وهي إشارة إلى ارتقاء منهجه للمناهج العلمية المعتمدة في البحث العلمي أو في الكشف عن أسباب الظواهر.

6.6 أسلوب الاستقراء:

يرى "ابن خلدون" أنه بعد الانتهاء من جمع المادة حول الظاهرة من خلال الملاحظة المباشرة والدراسة لمختلف الفترات التاريخية والمقارنة يمكن استخدام الاستقراء والتعليل والتحليل، للوصول إلى القوانين العامة، التي تحكم الظواهر الاجتماعية من خلال ارتباط الظواهر ببعضها البعض. التعميم الحذر أو الاستقراء الموسع يعرف بالاستقراء العلمي، وهو مختلف عن الاستقراء العام الذي يبدأ بتفحص الأحوال الجزئية، ثم ينتهي منها إلى قوانين وأحكام ونظريات عامة.

بعد اختبار عدد محدود من الحالات اختبارا علميا منظما، يمكن الانتقال من الحكم على الحقائق المشاهدة أي على بعض أفراد الشيء إلى الحكم على الحقائق غير المشاهدة، أي على جميع أفراد الشيء ويسمى هذا الاستقراء الناقص أو غير التام استقراء موسعا، لأن الفكر لا يتقيد فيه بالحدود المقررة، بل يوسع نطاق التجربة والملاحظة وينتقل من المحدود إلى غير المحدود. لهذا فنتائج الاستقراء الموسع أو الناقص ليست يقينية دائما. ولما كان "ابن خلدون" قد اعتمد اعتمادا أساسيا على الاستقراء أحداث التاريخ للتوصل إلى قوانينه وأحكامه ونظرياته في العمران البشري و صياغتها، فقد وجد لزاما عليه كعالم متنبه إلى طبيعة عملية الاستقراء الناقص من جهة وطبائع الاجتماع الإنساني من جهة أخرى أن يحفظ عند التعميم، لأن نتائج الاستقراء الناقص أو الموسع وبخاصة في محيط التجمعات البشرية المتفاعلة غير يقينية، وإن كانت قريبة من اليقين، إذا كان ذلك مبنيا على تكرار أحداث التاريخ المتشابهة وإفضائها إلى نتائج متشابهة، ولذلك كان يحتاط عند صياغة قوانينه ومبادئه وأحكامه ونظرياته، فيستخدم كلمات مثل: في الغالب، في الأكثر، وربما.

7.6 النقد والتقييم الموجه لمنهج ابن خلدون:

يبين "أبو يعرف المرزوقي" أن هناك اعتراضين على منهج "ابن خلدون" النظري الذي اتبعه في مقدمته وهما: (المرزوقي، 1983، ص 30)

– تعميماته المتسرعة وتأسيسه لتعميمات استقرائية على عدد محدود من المجتمعات.

– عدم وفاء "ابن خلدون" بوعوده النظرية التي صرح بها في كتابه المقدمة، إذ انتقد المفكرين والمؤرخين السابقين له في المنهج الذي اتبعوه، ثم عاد واستخدم المنهج نفسه الذي انتقده.

في الرد على هذا النقد يمكن القول أن "ابن خلدون" اعتمد المنهج العلمي من خلال استخدامه الملاحظة والتحليل لأحداث الأمم الحاضرة والسابقة. فاعتمد منهج الاستقراء اعتمادا على الملاحظات التي شاهدها وعاشها في حياته البدوية، ومن خلال أسفاره أو ممارسته للوظائف التي شغلها، وتحليلاته لتاريخ الأمم السابقة. فاستخدم في تعميماته الاستقراء الناقص، أين استخدم ألفاظ تبعده عن الوقوع في خطأ التعميم

ربما، في الغالب، قد وغيرها. بالرغم من اعتماده في تحليلاته تلك خاصة على الملاحظة المباشرة والملاحظة بالمشاركة وهو ما اصطلح عليه العلماء الغربيون حاليا المنهج الأنثروبولوجي، حيث توصل لعدة حقائق نتيجة معايشته للمجتمعات العربية المختلفة. فاعتمد الملاحظة العلمية التي تتصف بالدقة والموضوعية المتوافقة مع الواقع الاجتماعي المدروس.

إن سمة التغليب لا التعميم هي الغالبة في كتابات "ابن خلدون"، وهو بذلك يكشف الخاص الذي لا يخضع للعام خضوعا كاملا، فنجده يتحدث عن دول امتدت أعمارها لآلاف السنين كاليونان والرومان والإسلام وحضارة اليمن. (وافي، 1981، ص.ص 481-503)

لاشتقاق الأدلة من الوقائع والأحداث المتجسدة في الواقع الموضوعي، الذي يتسم بخاصية التغير، مما يجعل من الحقيقة عند "ابن خلدون" نسبية. ويؤكد من جهته "الساعاتي" أن "ابن خلدون" اعتمد على استقراء أحداث التاريخ للتوصل إلى قوانينه وأحكامه ونظرياته ومبادئه في العمران والدولة والعصبية، وأنه ابتعد عن التعميم لأن نتائج الاستقراء الناقص، وخاصة فيما يتعلق بالمجتمعات البشرية، لا يمكن أن تكون يقينية، وأنه توصل إليها بناء على تكرار الأحداث التاريخية المتشابهة وتحليلاته لهذه الأحداث والمشاهدات، وأنه كان يحتاط عند صياغة قوانينه ونظرياته وأحكامه أن يستخدم كلمات وعبارات مرنة تفيد سمة التغليب وليس التعميم، مثل ما ورد بالمقدمة (نادرا، قلما، ربما، في الغالب، غالبا، قد، إلا في الأقل). (الساعاتي، 1978، ص 218)

اعتمد "ابن خلدون" في تعميم استقراءاته من الحوادث الاجتماعية على مبدأين أساسين استنتجهما من تأمل الوقائع الاجتماعية والأحوال هما السببية والحتمية، فمبدأ السببية يقرر أن لكل معلول علة، وأن العلل المتشابهة تحدث المعلولات المتشابهة، ويدل ذلك على أن الحوادث الاجتماعية جميعا خاضعة للقوانين، أما مبدأ الحتمية فيقرر أن العالم متسق تجري حوادثه على نظام دائم لا يشذ عنه في الزمان شيء. (الساعاتي، 1978، ص 212)

إن هذين المبدأين ساعداه في الوصول إلى المنطقية في التفسير استنادا للطريقة العلمية في البحث، فالسببية جعلته يبحث في أسباب الوقائع والأحداث، والحتمية مكنته من الوصول إلى القوانين والأحكام بناء على منهجية علمية ميزته عن سابقيه.

منهج "ابن خلدون" عقلاني علمي في دراسته للظواهر الاجتماعية استخدم من خلاله مفاهيم الكم (كثرة أو قلة)، "ويعني رغبته في تحويل النشاطات الاجتماعية والتاريخية إلى ناحية رياضية، مع عدم إهماله للكيف، ومن أمثلة ذلك تحديده لعمر الدول وعمر الجيل، وكذلك تأكيده أن الغلبة للكثرة وأن العصبية تقوى بالدعوة الدينية وتضعف بضعفها ... وغير ذلك من الأمثلة." (أمين م، 1978، ص 41)

7. الخاتمة:

تميز واختلف "ابن خلدون" عن سابقيه من حيث المنهج العلمي الذي اتبعه في نقل الأحداث والوقائع التي أوردها في مقدمته، حيث فرق بين التأريخ وفلسفة التاريخ، وبحث في العلل والأسباب للحوادث والوقائع وصولا لإجابات منطقية، وما يبين تميز الطريقة والمنهج عند "ابن خلدون" هو كتابته للمقدمة على نحو لا نظير له في دراسته للعمران، أو قراءة التاريخ البشري كما أسماه. كما أنه قدم تفسيرات فلسفية في إعادته تحليل المجتمع البشري في ضوء الحضارة ونشأتها، ازدهارها، انحلالها وسقوطها، "ابن خلدون" من خلال تفسيراته أراد تشكيل تصورات تنظم قوانين الإنسان أو الاجتماع البشري. وبهذا فمنهج "ابن خلدون" علمي هدفه التغليب وليس التعميم، وفقا لمبدأ السببية أو العلية والحتمية واستمرارية المجتمعات، أي تغير الظواهر ونسبيتها، وأين اتبع العديد من القواعد المنهجية مثل التأمل والاستقراء والتحقيق العلمي والتحقيق الحسي والمقارنة والتجربة، والنظر في الحوادث في إطارها الزمني، معتمدا على مبدأ الترابط بين الظواهر الاجتماعية. وبهذا فقد خلصت هذه الورقة البحثية إلى أن المنهج العلمي لابن خلدون تميز بالخصائص التالية:

- استخدم سمة التغليب وليس التعميم والاستقراء الناقص في التوصل إلى الأحكام والقوانين، دون التسرع في تعميمها.
- استخدم الملاحظة العلمية الموضوعية في وصف الأحداث بدقة، من خلال إشارته إلى الكم والكثرة والقلة والنسبة.
- الحقيقة عنده نسبية غير مطلقة باعتباره اشتق أدلته من الأحداث في الواقع، الذي يتسم بالتغير وعدم الثبات.
- المنطقية في التفسير المنهجي، حيث يأخذ بمبدأ استمرارية الواقع الاجتماعي، ومن ثم التغير الاجتماعي الدائم، حيث بنى ذلك واضحا من خلال تفسيره لقيام الدولة وانهيارها والتحول من العمران البدوي إلى الحضري.
- ربط بين مختلف الظواهر الاجتماعية للمجتمع، حيث كانت له نظرة تكاملية للواقع الاجتماعي، مكنته من استنباط الأحكام والقوانين أو الأصول إلى التعميمات.

ومن الاقتراحات التي يمكن تقديمها ما يلي:

- القيام بمزيد من الملتقيات الوطنية والدولية حول الموروث الإبستيمولوجي والعلمي للعلامة "ابن خلدون" الذي استند عليه العديد من المنظرين الغربيين والباحثين العرب.

– الاقتداء بالمنهجية العلمية لابن خلدون في الكشف عن الحقائق ومختلف العمليات والظواهر الاجتماعية في المنطقة العربية.

– إنتاج سوسيولوجيا عربية تعكس الخصوصية الثقافية للبلدان العربية والإسلامية، من خلال الاقتداء بابن خلدون و "مالك ابن نبي" في تحليلهم للظواهر، من خلال البحث على مقاربات نظرية خاصة بهذه المجتمعات.

8. قائمة المراجع

1. أبو يعرف المرزوقي. (1983). الإجتماع النظري الخلدوني و التاريخ العربي المعاصر. القاهرة: الدار العربية للكتاب.
2. أحمد غريب. (1986). تاريخ الفكر الإجتماعي. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
3. الطبري. (1918). تاريخ الأمم و الملوك. مصر: المطبعة الحسينية.
4. الطيب داودي. (2011). المنهج العلمي في التحليل الإقتصادي الخلدوني. مجلة جامعة دمشق للعلوم الإقتصادية و القانونية ، المجلد 27 (العدد 4)، الصفحات 46–47.
5. حامد السيد محمود. (1998). القرابة البدوية العربية (قراء أنتروبولوجية لمقدمة ابن خلدون). الإسكندرية: المركز القومي.
6. حسان هشام. (2007). منهجية البحث العلم. الجزائر: مطبعة الفنون.
7. حسن الساعاتي. (2004). ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع. بيروت، لبنان: دار السالم.
8. حسن الساعاتي. (1978). علم الإجتماع الخلدوني(قواعد المنهج). بيروت: دار المعارف.
9. حلس موسى. (1997). تاريخ التفكير الإجتماعي. غزة: جامعة الأزهر.
10. رائد محمد طه. (2012). إسهمات ابن خلدون في رفد علم الإجتماع و الأنتروبولوجيا بمفاهيم لغوية. مؤتمر ابن خلدون علامة الشرق و الغرب. فلسطين: جامعة النجاح الوطنية.
11. زدك محمد أمين. (2014). ابن خلدون: مساهمة في تطور الفكر العلمي في عصره. الأكاديمية للدراسات الإجتماعية و الإنسانية ، المجلد 6. العدد(2)، ص.ص 45–48.
12. صديق المنشاوي. (2014). مقدمة ابن خلدون مؤسس علم الإجتماع المؤرخ عبد الرحمان ابن خلدون. القاهرة: دار الفضيلة.
13. صلاح الدين شروخ. (2003). منهجية البحث العلمي للجامعيين. عنابة، الجزائر: دار العلوم للنشر والتوزيع.
14. عبد الأمير شمس الدين. (1991). الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق (المجلد موسوعة الفكر التربوي الإسلامي، قطاع الفلاسفة). لبنان: الشركة العالمية للكتاب ش.م.ل.

15. عبد الرحمان ابن خلدون. (2007). المقدمة. لبنان: دار الفكر.
16. عبد الرحمان ابن خلدون. (1986). مقدمة ابن خلدون (الإصدار 6). بيروت: دار القلم.
17. عبد الرحمان بدوي. (1977). مناهج البحث العلمي. الكويت: وكالة المطبوعات، شارع فهد السالم.
18. عبد الخليل إبراهيم السمرائي. (1986). الأوضاع السياسية للعالم الإسلامي من خلال رحلة ابن بطوطة (المجلد 4). بغداد: دار الحرية للطباعة.
19. عبدالرحمان ابن خلدون. (1993). مقدمة ابن خلدون. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
20. علي عبد الواحد وافي. (1981). مقدمة ابن خلدون. مصر: دار النهضة.
21. فضيل ديليو، وآخرون. (1999). أسس المنهجية في العلوم الإجتماعية. الجزائر: منشورات جامعة قسنطية.
22. محمد الجوهري، و يوسف محسن. (2008). ابن خلدون إنجاز فكري متجدد. مصر: مكتبة الإسكندرية.
23. محمد أمين. (1978). مقدمة ابن خلدون (مدخل إبستمولوجي). الفكر العربي (6).
24. محمود الشامي. (2011). مبادئ علم الإجتماع. غزة: جامعة الأقصى.
25. محمود يعقوبي. (2009). أصول الخطاب الفلسفي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
26. محمود يعقوبي. (1979). معجم الفلسفة. الجزائر: مكتبة الشركة الجزائرية.
27. موريس أنجرس. (2004). منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية (تدريبات عملية). (بوزيد صحراوي، و وآخرون، المترجمون). الجزائر: دار القصبة للنشر والتوزيع.